عِصمَة الملائكة

عليهم السلام

مِن المعصية والذُّنوب

ـ قصة هاروت وماروت

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(الإيمان بالملائكة عليهم السلام)
من الصفحة ٢٢٩ حتى الصفحة ٢٣٩

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناء على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم مؤلفات الإمام
- المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

عصمة الملائكة عليهم السلام من المعصية والذنوب

إن مما يجب اعتقاده في الملائـكة عليهم السلام أنهم معصومون عن المعاصي والذنوب ، بعصمة الله تعالى لهم وحفظه إياهم ، فقد ثبت بالادلة القرآنية الصريحة مايدل على عصمتهم :

الدليل الأول ـ قول الله تعالى في صفة الملائـكة : ﴿ وقالوا : اتخذ الرحمن ولداً ! سبحانه بل عبادٌ مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ . فهم من ناحية القول لايتقدَّمون بقولٍ إلاّ من بعد أن يأذن الله تعالى لهم في ذلك ، فالإذن منه سبحانه هو السابق ، وقولهم مسبوق بقوله سبحانه وإذنه ، وأما من ناحية العمل فلا يتحركون لعملٍ إلا بأمره تعالى ، فهم أمريُّون أي يعملون بموجب الأمر الصادر منه سبحانه ، وغير ذلك لايعملون ، ولذا قدَّم

(١) انظر التفاسير ، ومنها تفسير ابن جرير وابن كثير .

قوله ﴿ وهم بأمره ﴾ على قوله ﴿ يعملون ﴾ ليفيد الحصر بذلك .

وحيث إن الملائكة بأمر الله تعالى يعملون ، فكيف يقع منهم بعد ذلك ذنب ؟! إذ لو وقع منهم ذنب للزم أن يكون عن أمره تعالى لهم بذلك الذنب ، وهذا باطل ، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، قال تعالى : ﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾.

الثاني - قوله تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ﴾. فهم يأتمرون بأوامر الله تعالى ولا يعصون الله ما أمرهم كما وأن جميع تحركاتهم الفعلية هي أمرية، أي كلها قيام بمقتضى أوامره تعالى ، وبها تنفيذ لأوامره تعالى ، فكيف يقعون في معصية أو ذنب ؟!

الثالث - قوله تعالى : ﴿ يسبّحون الليلَ والنهار لا يفترون ﴾. فلا تعتريهم فتراتُ انقطاعٍ عن تسبيح الله تعالى، لا في الليل ولا في النهار ، ومن كانت هذه صفته في جميع أوقاته فكيف يصدر عنه ذنب أو تقع منه معصية ؟

الرابع - قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ، ويفعلون ما يؤمرون ﴾ فهم في مقام الخشية والمخافة دائماً ، كما وأنهم دأبهم الدائب يفعلون ما يؤمرون ، فأين المعاصي منهم والمخالفات ؟.

الخامس - قوله تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن

الناس ﴾ فهم من المصطفَيْن لرسالة الله تعالى في تنفيذ أوامره وتبليغها بصدق وأمانة .

السادس - قوله تعالى في الملائكة عليهم السلام : ﴿ وما نتنزَّل إلا بأمر ربك ، له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نَسِيّاً ﴾ فجميع تنزلاتهم في العوالم، إنما هي بأمر الله تعالى لا من تلقاء أنفسهم كما وأن جميع تنزلاتهم بالحق والصدق ، قال تعالى : ﴿ ما ننزِّل الملائكة إلا بالحق .. ﴾ الآية . ومعنى قوله تعالى في الملائكة ﴿ له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسياً ﴾ أي له سبحانه ماقدَّامنا وما خلفنا، وما نحن فيه من الأماكن والأحايين ، فلا نتمالك أن نتنقل من مكان إلى مكان ، ولا أن ننزل في زمان دون زمان إلا بأمر الملِك سبحانه ومشيئته ، وهو الحفيظ العلاَّم بجميع الحركات والسكنات، وجميع أحوال الأكوان، لاتعتريه الغفلة ولا النسيان ، فأنَّى لنا أن نتقلَّب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه جل وعلا ؟!

وأما ما قد يتوهمه بعض الناس وما قد يفهمونه من بعض الآيات القرآنية مما يُخِلُّ بعصمة الملائكة الكرام عليهم السلام فهو وهمٌ مرفوع وفهم مدفوع .

فمن تلك الآيات التي قد يتوهم منها ما يتوهم قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربُّك للملائـكة : إني جاعل في الأرض خليفةً ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك ؟ قال إني أعلم مالا تعلمون ﴾ .

فقد يتوهم منها اعتراض الملائـكة على الله تعالى ، ولكن الحق ليس بذاك ، فان قولهم ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ليس هو سؤال اعتراض ، فانه سبحانه لا يُسأل عما يفعل ، ولكن كما قال المحققون إنه سؤال استفسار واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة ، واستخبار عمَّا يرشدهم ، ويزيـح شبهتهم ، كسؤال المتعـلم معلمه عمّـا يختلج في صدره ، وليس باعتراضٍ على الله تعالى ، ولا طعناً في بني آدم على وجه الغيبة ، فانهم أعلى من أن يُظنَّ بهم ذلك ، لقوله سبحانه : ﴿ بل عباد مكرَمون . لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ فانهم لم يتقدموا بهذا القول من السؤال والاستفسار إلا بعد الإذن لهم في ذلك، لأنهم لايسبقونه بالقول سبحانه .

هذا ، وإن الملائـكة عليهم السلام كرامٌ بررةٌ أتقياء فطناء أدباء مع الحضرة الربانيّـة ، لايتأتّـى منهم الانتقاد ولا الاعتراض على الله تعالى في مقاله المبيِّن لمنزلة آدم ، والمعلِن بفضله والمؤذن بشرفه ،

فانه سبحانه أراد أن يعلن بمنزلة آدم ويعلم الملائكة بفضله وشرفه، فقال: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ وهو في اللغة من يخلف غيره ، والهاء فيه للمبالغة ، وجمهور أهل العلم والمعرفة، على أن المراد به آدم عليه السلام ، كما هو مفصل في كتبهم ، قال العلامة البيضاوي : والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام ، لأنه كان خليفة الله في أرضه ، وكذلك كلُّ نبيٍّ (١) . استخلفهم الله تعالى في عمارة الأرض وسياسة الناس ، وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه ، بل لقصور المستخلَف عليه - أي بني آدم ما سوى الأنبياء منهم فإنهم قاصرون - عن قبول فيضه تعالى ، وتلقي أمره بغير واسطة ، ولذلك لم يستنبىء سبحانه ملَكاً ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولو جعلناه ملَكاً لجعلناه رجلاً ﴾ . اهـ

---

(١) قال تعالى في داود عليه الصلاة والسلام : ﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق .. ﴾ الآية . وقال تعالى في الخليل الكريم عليه الصلاة والسلام : ﴿ قال إني جاعلك للناس إماماً .. ﴾ الآية . وقال تعالى في الخليفة الأعظم سيدنا محمد ﷺ : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم .. ﴾ الآية . ومن قارن بين هذه النصوص القرآنية واعتبر بما فيها وتبصَّر بمعانيها أيقن أن سيدنا محمداً ﷺ هو إمام الأنبياء والمرسلين حقاً ، كما أخبر عن ذلك بقوله : « إذا كان يوم القيامة كنتُ أنا إمام النبيين ، وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ، غير فخر » ﷺ.

فجعل الله سبحانه الرسلَ رجالاً حتى تتلقّى الناس عنهم دينهم وأحكام شرعهم ، ويسمعوا كلامهم وتعاليمهم ، ويرَوْا أفعالهم ويتبعوهم في أعمالهم ومعاملاتهم وسيَرهم وأخلاقهم وآدابهم ، إلى ماوراء ذلك .

﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم مالا تعلمون ﴾ استفسروا عن الحكمة لخفائها عليهم ، مستعلمين ومستفهمين ، ولذا جاء الجواب : ﴿ إني أعلم مالا تعلمون ﴾ . واختلف في وجه معرفتهم بأن سيقع من ذريّة آدم إفساد وسفك ؟ : فقيل : إنما عرفوا ذلك بإخبارٍ من الله تعالى لهم بذلك ، ولم يقصّ علينا ذلك الإخبار اكتفاءً بدلالة الجواب عليه للايجاز ، كما هو عادة القرآن الكريم . ويؤيّد ذلك ماروي في بعض الآثار أنه لما قال الله تعالى ذلك قالوا : وما يكون من ذلك الخليفة ؟ قال : تكون له ذريّة يفسدون في الأرض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، فعند ذلك قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟.

وقيل : عرفوا ذلك بالتلقي من اللوح ، وقيل : عرفوا ذلك استنباطاً مما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم ، وقيل : عرفوا ذلك قياساً لأحد الثقلين ـ وهم الانس ـ على الآخر ـ وهم الجن قبل

الانس - باعتبار أنهما - أي الثقلين - غير معصومين . وقيل : عرفوا ذلك من تسمية آدم خليفة ، لأن الخلافة تقتضي الإصلاح ، وتقويم المستخلَف عليه وإيقافه عند الحدود[١]، وذلك يستلزم أن يصدر منه فساد إما في ذاته بمقتضى الشهوة ، أو في غيره من السفلة . وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم بما هنالك[٢] .

وأما قصَّة هاروت وماروت الواردة في القرآن الكريم فليس فيها ما يطعن بالملائكة ويخلُّ بعصمتهم ، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ، ثم يضمُّون إلى ما سمعوه أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة من الإنس ، وجعلت الكهنة يدوّنونها في كتبٍ ويقرءونها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام ، حتى صاروا يقولون : إن الجن يعلمون الغيب ، وإن هذا العلم هو علم سليمان عليه السلام ، وإنه ما تمّ لسليمان ملكه إلا بهذا العلم ، وبه سُخرت له الجن والإنس والطير .. فأنزِل هذان الملكان لتعليم السحر

(١) انظر جميع ما تقدم في تفسير البيضاوي والنسفي وروح المعانى ، وغيرها من التفاسير .

(٢) ولا يخلو بعض تلك الوجوه السابقة عن نظرٍ فيها ، ولكن تركنا الاطالة مخافة الملالة .

ابتلاءً من الله تعالى للناس وللتمييز بين السحر وبين المعجزة ، وظهور الفرق بين كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين كلام السحرة [١] ، وإليه الإشارة بقوله تعالى إخباراً عنهما : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ .

قال العلامة الرازي في هذه الآية : يعني إنما نعلمكم السحر لتتوصَّلوا به إلى الفرق بين المعجزة والسحر ، فلا ينبغي أن تستعملوا هذا السحر في أغراضكم الباطلة ، فانكم إن فعلتم ذلك كفرتم . فالحاصل أنه تعالى إنما أنزلهما ليحصل بسبب إرشادهما الفرق بين الحق الذي جاء سليمان وأتمَّ له الله به ملكه ، وبين الباطل الذي جاءت الكهنة به من السحر ، ليفرق بين المعجزة والسحر [٢] اه .

قال الله تعالى : ﴿ واتَّبعوا ماتتلوا [٣] الشياطين ﴾ يعني أن فريقاً من اليهود المخبر عنهم في الآيات السابقة نبذوا كتاب الله تعالى وهو التوراة ، واتبعوا كتب السحر التي كانت تقرؤها الكهنة ﴿ على

---

(١) انظر ذلك في تفسير البيضاوي والنسفي والخازن والآلوسي وغيرها .
(٢) انظر كتاب الأربعين للفخر الرازي .
(٣) وهو حكاية حال ماضية ، والأصل « تلَتْ » وقول الكوفيين : إن المعنى ما كانت تتلوا : محمولٌ على ذلك ، لا أن « كان » هناك مقدَّرة . اه من تفسير روح البيان وغيره .

ملك سليمان ﴾ أي على عهده وزمان ملكه ﴿ وما كفر سليمان ﴾ فيه تكذيب للشياطين ودفع لما اتُّهم به سليمان من اعتقاده السحر واعتناقه إيَّاه وعمله ، كما أشيع عنه من قِبَل الكهنة ﴿ ولكنَّ الشياطين كفروا يعلِّمون الناس السحر ﴾ إغواءً وإضلالاً ، قال العلامة البيضاوي : والمراد بالسحر - أي هنا في الآية - مايستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان ، مما لا يستقل به الانسان ، وذلك لايستتبُّ - أي لا يتم - إلا لمن يناسبه - أي الشيطان - في الشرارة وخبث النفس ، فان التناسب شرط في التضامِّ والتعاون . اهـ .

﴿ وما أُنزل [1] على الملكين ﴾ يعني، أنهم يعلِّمون الناس السحر ، ويعلمونهم ما أنزل على الملكين ، أو المعنى أن اليهود اتبعوا ماتتلوا الشياطين من السحر ، واتبعوا ماأنزل على الملكين ﴿ ببابل هاروت وماروت ﴾ اسمان علمان [2] بيان للملكين . والذي أنزل

(١) جاء في تفسير البيضاوي وغيره : وقيل « ما » نفي معطوف على قوله«وما كفر سليمان » اهـ .

(٢) وهما أعجميان،منعا من الصرف للعلمية والعجمة ، وقيل : عربيان من الهرت والمرت ، بمعنى الكسر ، ويشكل عليه منعها من الصرف ، وليس إلا العلمية ، وتكلفه بعضهم فقال: يحتمل أنها معدولان من الهارت والمارت اهـ من روح المعاني وغيره .

عليهما هو علم السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس وليفرقوا بين السحر والمعجزة كما تقدّم .

﴿ وما يعلمان من أحد ، حتى يقولا إنما نحن فتنة ﴾ يعني أنهما مايعلّمان أحداً حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله تعالى ، ومحنة واختبار ﴿ فلا تكفر ﴾ .

قال العلامة البيضاوي وغيره في تفسير قوله تعالى ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ : أي وما يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله ، فمن تعلم منا - أي السحر - وعمل به كفر ، ومن تعلم وتوقّى عمله ثبت على الإيمان ، فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به . اهـ ونقل ذلك العلامة الآلوسي في تفسيره بالنص .

﴿ فيتعلمون منهما مايفرّقون به بين المرء وزوجه ﴾ أي علمَ السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين ، بأن يخلق الله تعالى عند ذلك النفرة والخلاف بين الزوجين ابتلاءً منه سبحانه ﴿ وماهم بضارّين به من أحد إلا باذن الله ﴾ لأن السحر وغيره من الأسباب لا تؤثر بالذات بل بأمره تعالى ومشيئته وخلقه . وقد أمر الله تعالى بالتعوّذ من شر النفوس الساحرة النفاثات في العُقَد كما جاء في سورة الفلق .

وفي ذلك دليل على أن للسحر حقيقةً ، وأن له تأثيراً ، كما عليه أهل السنة ، ولـكن بإذنه تعالى ومشيئته وخلقه . وليس هذا موضوع بحثنا حتى نفصله .

هذا وإن البحث في عالم الملائـكة عليهم السلام واسع الأطراف ، فسيـح الأكناف ، وقد اقتصرنا منه على المهمات والموجزات ، فنسأل الله تعالى أن يعفو عن السيئات ، ويعظم لنا أجر الحسنات ، ويعطّف علينا قلب مصدر الخيرات والبركات ، ومنبـع الفيوضات والفتوحات ، سيدنا وشفيعنا عند ربنا ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم ، إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .